حقيقة مدرسة الأندلس النحوية
بين الأصالة والتقليد

م.م. ثائرعبد الكريم شعلان
كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

يناقش هذا البحث المتواضع ما ذهب اليه بعض الباحثين بأن الجهد الذي قام به علماء النحو في بلاد الأندلس يعد مدرسة نحوية قائمة برأسها ،واطلقوا عليه (مدرسة الأندلس النحوية) وهذا ما اشار اليه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابهالموسوم ب (المدارس النحوية) وقد عد ادخال كتب النحويين ككتاب سيبوية أالقراءات كقراءة ورش المصري الى بلاد الأندلس أو تدوين المصنفات النحوية أو مخالطة نحاة الأندلس لجميع النحاةالسابقين لهم في المشرق من بصريين و كوفيين وانتهاجهم منهج الأختيار من آرائهم البذرة الأولى في ارساء المدرسة الاندلسية ، فهل هذا يمكن أن يشكل مدرسة بعينها ؟ وللاجابة على ها التساؤل هو ما عرض في اثناء البحث لجهود عدد من اعلام النحو في بلاد الأندلس وقد سبق بمقدمة وتمهيد اشير فيهما بايجاز لكيفية نشوء المدارس النحوية . ومن خلال ما عرض توصل البحث الى ان ما قام به علماءنا في الأندلس من جهود نحوية يعد درسا نحويا جديرا بالاهتمام والدراسة و لا يرق ى لأن يكون مدرسة نحوية قائمة بذاتها .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

يعرف النحو بانه نظام لغوي يهتم بترتيب الالفاظ على طريقة مسموعة و معلومة تتحصل به صور مرفقة بالمعاني ترفد ذهن السامع والقارئ وهو المقياس الذي يتبين به صحيح الكلام من سقيمه ،ويتفق الباحثون على ان العرب لم تكن لهم معرفة بعلم النحو قبل ظهور الاسلام ؛اذ لم ترد أية اشارة تدل على ذلك ، بل كانوا ينطقون العربية معربة صحيحة فصيحة من غير حاجة لمعرفة اسرار صحة نطقهم كما هو حالهم في نظم الشعر أذا كانوا يدركون سلامة النظم على بحور الشعر كافة ويعرفون عللها وزحافاتها،ألا أنهم لم يسموا هذه الامور باسمائها.

وبعد نزول القرأن الكريم وانتشار الاسلام في بلاد و أسعة ظهرت دوافع أدت الى وضع ضوابط ورسوم تعين على النطق السليم وتقي اللسان الحن وتحفظ اللغة مما قد يعتريها من الضعف و الاضطراب ومن هذه الدوافع حاجة المسلمين الى البحث عن سبل الكشف عن اسرار أعجاز القرأن الكريم الذي تحدى العرب وهم أرباب الفصاحة مما دعاهم الى التأمل في تراكيبه وطرق أسنادها وأساليب التعبير فيه ،وكذلك السعي لتفسير النصوص القرأنية وبيان معانيها لأستخلاص الاحكام الشرعية التي تنظم حياتهم ، هذا فضلا عن أنتشار الأسلام في أقاليم غير عربية مما أدى الى سعي الأقوام غير العربية لتعلم لغة القران الكريم و الدين الحنيف بغية فهم تعاليم الاسلام .وقد حرك شيوع اللحن الذي نتج عن الاحتكاك بالأعاجم همم أولى الامر في الدولة الاسلامية لأصلاح هذا الخلل و البحث عن سبل لعلاج هذا الداء.

ويؤكد ذلك الرواية المعروفة (*)التي ذكرت ما وجه به الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أبى الأسود الدؤلي الى وضع قواعد مستنبطة من أستقراء لغة العرب ،وبناء على ذلك أجمت معظم المصادرعلى أن أبى الأسود هو أول من وضع النحو العرب(**)ثم جاء عدد من النحات أستطاعوا ان يخطوا خطوات واضحة في ميدان النحو أذ رويت لهم أراء ونسب لهم مد القياس وتعليل الاحكام ،اذ

أنتقل مصطلح (الأصول)من الفقه الى النحو وذلك في القرن الرابع الهجري واطردت قواعد النحو ووضعت التعليلات لكل قاعدة أو حكم تحوي بالعلل التي يرونها ملائمة لطبيعة اللغة ومن هنا بدأ الخلاف النحوي بعد أن تباينت مواقف النحاة بأزاء تلك الاصول ففي مجال القياس وهو من الاصول النحوية أذ قاس فريق من النحاة على الكثير المطرد ولم يرتضوا بالقياس على الشاذ و النادر كما لم يرتضوا القياس على أي نص الأ بعد الامعان في التمحيص وأباح فريق أخر القياس على الشاهد الواحد وتوسعوا في ذلك غير مبالين بمصدره أو فصاحته لذا أتسعت الشقة بينهم وزاد الخلاف وراح كل منهم يدافع عن موقفه بالحجج و الادلة التي تسنده وكذلك جرى الخلاف بالمصطلحات و العوامل و أتسع الخلاف حتى صار خلاف مدرسي أنقسم فيه النحاة الى بصريين يتعصبون لمنهج مدرسة البصرة وأصولها و الى كوفيين يتعصبون لمنهج مدرسة الكوفة وأصولها . وسيعالج البحث مسألة تعدد هذه المدارس التي اتكأت على هاتين المدرستين الرئيستين أو هي خلط بين أراء المدرسيين و التقليد لأراء علمائهما .

التمهيد :

المدارس النحوية مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي اختلفت في منهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية، و كل اتجاه منهاارتبطٍ بإقليم عربي معيّن ، فكان أن ظهرت هناك مدارس مثل البصرة ، و الكوفة ، و بغداد .

والمتصفح لكتب التراث التي تناولت تاريخ النحو والنحاة، يلحظ خلوها من مصطلح المدرسة ولكنه يجد أخبارا مجموعة لعلماء كل عصر على حده ففي (الفهرست) لابن نديم مثلا هناك باباً يفرد للكلام في النحو وأخبار النحويين من البصريين، وباباً آخر لأخبار النحويين الكوفيين، ثم باب ثالث لأخبار جماعة من علماء النحو واللغويين ممن خلط بين المذهبين، وقد عرف هؤلاء الاخيرون عند الدارسين بالبغداديين.

وعندما ألف أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) مصنفه في مراتب النحويين، عرض للاصناف الثلاثة ممن اشتغلوا باللغة والنحو، بدءا من أبي الأسود، ومن اخذ عنه وبعض اللغويين والنحويين من البصريين. ثم عقد باباً لعلماء الكوفة بعد ألكسائي وخصص الباب الأخير لعلماء بغداد.

وأما الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) فقد وضع النحويين واللغويين في طبقات فابتدأها بطبقات النحويين البصريين وصنفهم إلى عشر طبقات، انتقل بعدها إلى طبقات الكوفيين فكانوا ست طبقات. وخصص أبوابا لطبقات النحويين واللغويين المصريين، فاللغويين والنحويين القرويين ثم النحويين واللغويين الاندلسيين.

وقد شاع بين المحدثين استقلال كل مصر من هذه الأمصار بمذهب شاع بين علمائها ونحاتها، وألفت الكتب فيها، فهناك كتاب عن مدرسة الكوفة وآخر عن مدرسة البصرة، وصنف الأستاذ الدكتور شوقي ضيف كتاباً في المدارس النحوية أجمل فيه الجهود الخصبة لكل مدرسة، وهو من أوائل المعاصرين الذين تحدثوا عن وجود مدرسة اندلسية في النحو إذ يقول: ((وأول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي : جوديّ بن عثمان المورورى[1] الذي رحل إلى المشرق، وتتلمذ للكسائي والفراء، وهو أول من ادخل إلى موطنه كتب الكوفيين، وأول من صنف به في النحو، وما زال يدرسه لطلابه حتى توفي سنة ١٩٨ للهجرة)) [2] و يقرر الدكتور ضيف أن المورورى هو أول نحاة الأندلس وكأنه يلمح إلى أن الرجل من نحاة الأندلس الذين كان لهم الفضل والريادة في وجود هذه المدرسة. في حين أن ما ذكره الدكتور لا يوحي بأن له الشأن في وجود هذه المدرسة بل انه لا يعدو أن يكون تلميذا للكسائي والفراء وفضله انه أدخل إلى الأندلس كتب الكوفيين، فضلا عن تأليفه في النحو وإشتغاله به، وعمله هذا لا يعني انه أسس المدرسة الاندلسية، وان فعل شيئا من هذا فهو نشاط موصول بجهود الكوفيين، الذين

تتلمذ على أئمتهم ونشر آراءهم عند عودته إلى الأندلس، وكل هذا لا يحتمل القولبأنه صاحب مذهب جديد في الأندلس، أومدرسة جديدة .

ومثل هذا يقال عن أبي عبد الله محمد القرطبي[٣] ((الذي مثله إلى المشرق، واخذ عن عثمان بن سعيد المصري المعروف باسم (وَرْش) وادخلها إلى الأندلس، وكان بصيرا بالعربية))[٤]. إذ ان أبا عبد الله لا يعد إماما أو مؤسساً للمدرسة الأندلسية، لان عمله اقتصر على أخذ قراءة (وَرْش) المصري وإدخالها إلى الأندلس بعد عودته إليها وهذا لا يمكن أن يكون سببا لجعله من اطواد نحاة الأندلس وإن وصف الدكتور شوقي ضيف له بأنه كان بصيرا بالعربية لا يوحي أيضاً بأنه كان من رواد هذه المدرسة.

ويذكر الدكتور شوقي عددا من القرّاء والنحاة في القرنيين الثالث والرابع للهجرة تميز من بينهم عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ) الذي كان إماما في الفقه والحديث والنحو واللغة[٥].

ثم يقول الدكتور الضيف إن ((الأندلس قد تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، وأنها صبت عنايتها أولا على النحو الكوفي مقتدية بنحويّها الأول جودي بن عثمان، حتى إذا أصبحنا في أواخر القرن الثالث الهجري وجدنا ((الأفشين)) أو ((الأفشيت)) محمد بن موسى بن هاشم (ت ٣٠٧هـ)[٦] يرحل إلى المشرق، ويلقى بمصر أبا جعفر الدينوري، ويأخذ عنه كتاب سيبويه رواية، ويقرأه بقرطبة لطلابه. ويأخذ غير نحوي في مدارسة الكتاب مثل : احمد بن يوسف بن حجاج (ت ٣٣٦هـ)[٧] وكان يضع دائما كتاب سيبويه بين يديه، ولا يثني عن مطالعته في حال فراغه وشغله وصحته وسقمه)[٨].

ثم يعدد الدكتور ضيف جمعا من العلماء الذين كان لهم عناية واهتمام بكتاب سيبويه، إذ نقلوه من المشرق إلى بلاد الأندلس، من أمثال : محمد بن يحيى ألمهلبي الجياني (ت ٣٥٣هـ) وأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) وأبي بكر بن القوطية (ت ٣٦٧هـ) ومحمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) وأبي عبد الله محمد بن عاصم العاصمي (ت ٣٨٢هـ) واحمد بن أيان (ت ٣٨٢هـ)، وهارون بن موسى القرطبي (ت ٤٠١هـ) وابن الافيلي (ت ٤٤١هـ) وابن سيده (ت ٤٤٨ هـ)[٩]. أن الأعلام السابق ذكرهم كانت لهم جهود في النحو واللغة، إذ بدأ على أيدي بعضهم نقل كتاب سيبويه إلى الأندلس, ثم تدريسه إلى طلبة العلم, وتكللت جهود العديد منهم في تدوين المصنفات في النحو واللغة, غير أن جهودهم لم ترق إلى مصطلح مدرسة نحوية بمفهومها المعروف عند أهل العلم.

ويتابع الدكتور ضيف كلامه قائلا : ((أخذت دراسة النحو تزدهر في الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف ؛ فإذا نحاتُها يخالطون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين, وإذا هم ينتهجون نهج الآخرين من الاختيار من أراء نحاة الكوفة والبصرة ويضيفون إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين وخاصة أبا على الفارسي وابن جني، ولا يكتفون بذلك، بل يسيرون في اتجاههم من كثرة التعليلات والنفوذ إلى بعض الآراء الجديدة, وبذلك يتيحون لمنهج البغداديين المزيد من الخصب والنماء. ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إن الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) هو أول من نهج لنحاة الأندلس في قوة هذا الاتجاه, فلقد كان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى التي يدور عليها الحكم, مثل أن كل مبتدأ مرفوع, بل علة ثانية لمثل هذا الحكم يوضح بها لماذا رفع المبتدأ ولم ينصب))[١٠].

ويذكر الدكتور شوقي ضيف قولا لابن مضاء عن الأعلم, ونصه ((وكان الأعلم - رحمه الله - على بصره بالنحو مولعاً بهذه العلل الثواني, ويرى أنه إذا استنبط منها شيئا فقد ظفر بطائل))[١١].

وإن ذكر الدكتور شوقي ضيف بأن نحاة الأندلس قد خالطوا جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين, وكذلك انتهجوا نهج الكوفيين والبغداديين في الاختيار من آراء نحاة الكوفة والبصرة وأنهم أبي علي الفارسي وابن جني خاصة - أضافوا إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين ولو صح هذا

الكلام فإن هذا الذي وصفه نحاة الأندلس لا يمثل مدرسة اندلسية قائمة بنفسها ؛ لان عملهم كان في الاختيار من آراء العلماء ومثل هذا الاختيار لا يمكن أن يوصف بأنه يؤلف مدرسة نحوية مستقلة.

الجهد النحوي في الأندلس - عرضا ومناقشة :

لبيان ذلك يمكن عرض جهود بعض علماء النحو في الأندلس :

١- الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) :

ان طلب الأعلم الشنتمري للعلة الثانية في رفع المبتدأ لا يجعل منه صاحب مدرسة نحوية ؛ لان البحث عن العلل النحوية قد استفاض في الكلام عليه غير ما عالم ؛ فهذا أبو البركات ابن الانباري (ت ٥٧٧هـ) - على سبيل المثال - قد صنف كتابا في ذلك هو (أسرار العربية) وكان الزجاجي (ت ٣٣٨هـ) من قد صنف كتابه المعروف (الإيضاح في علل النحو) فهل يمكن أن يقال عنهما قد شكل كل منهما مدرسة نحوية . ثم إن ما ذكره الأعلم في انه لمَ رفع المبتدأ ولمْ ينصب تحدث عنه غير واحد من النحاة ؛ قال أبو البركات بن الانباري : ((فإن قيل فلمَ خُصّ المبتدأ بالرفع دون غيره ؟ قيل : لثلاثة أوجه :

احدهما أن المبتدأ وقع في أقوى أحواله, وهو الابتداء, فأعطي أقوى الحركات , وهي الرفع .

والوجه الثاني : أن المبتدأ أول , والرفع أول فأعطي الأول للأوّل .

والوجه الثالث : أن المبتدأ مخبر عنه , كما أن الفاعل مخبر عنه , والفاعل مرفوع فكذلك ما أشبهه))[١٢].

وان كان الزجاجي قد تحدث عن العلل في مصنفه المشهور , فهل يمكن أن يكون له مدرسة جديدة وهذا ينطبق على كلام الأعلم في طلبه للعلة الثانية هل يجعله ينتمي إلى مدرسة بذاتها ؟

٢- ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ)

قد يرى بعضهم أن جهود الاندلسيين في النحو ظهرت جلية على يد واحد من أعلام نحاة الأندلس , وهو ابن مضاء القرطبي , إذ جعله الدكتور شوقي ضيف من أعلام نحاة المدرسة الاندلسية , يقول : وقد استلهم ابن مضاء هذه الثورة لا في حمله على الفقه والفقهاء , وإنما في حمله على النحو والنحاة من حوله , إذ وجد مادة العربية تتضخم بتقديرات وتأويلات وتعديلات واقبة وشعب وفروع وآراء لا حصر لها , ولا غناء حقيقي في تتبعها أو على الأقل في تتبع الكثير منها, فمضى يهاجمها في ثلاثة كتب هي (المشرق في النحو) و (تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان) و (كتاب الرد على النحاة وهو وحده - الذي بقي من آثاره) . وقد قصد من هذا الكتاب أن يحذف ما يستغني النحوي عنه، وينبه على ما اجمعوا على الخطأ فيه))[١٣].

قال الدكتور شوقي ضيف: " وبدأ بنظرية العوامل والمعمولات يبتغي أن ينقضها نقضا، هي وكل ما جرّت إليه من عوامل لفظية ومعنوية، ومن معمولات مذكورة ومضمرة محذوفة . ولكي يدل على فساد تلك النظرية أو رد ما ترتب عليها في الصيغة العربية من عوامل محذوفة، إما لعلم المخاطب بها , كما يقول النحاة في مثل : مَنْ جاء؟ فيقال : زيدٌ, ويقدرون أن أصل الجواب : جاء زيدٌ. وإما لمجرد الافتراض , كتقدير النحاة في مثل : الكتابَ قرأته , أن الكتاب مفعول به لفعل محذوف , واصل الجملة : قرأتُ الكتابَ قرأتهُ , وإما لما هو أبعد من ذلك الافتراض والتخيل , إذ يقدرون في مثل : يا عَبدَ اللهِ , إن المنادى مفعول به لفعل محذوف , والتقدير : أدعو عبد الله , وهو افتراض أشد عنتاً من الافتراض في الجملة السالفة .

ويبين ابن مضاء فساد كل هذه التقديرات , وما تجرّ إليه من زيادة ألفاظ على الذكر الحكيم حين يقترض النحاة في صيغة عوامل محذوفة ؛ إذ يزيدون عليه ما ليس منه , دون حجة أو دليل ما وسرعان ما نفذ من ذلك إلى إلغاء ما تصوّره النحاة من متعلق للجار والمجرور حين يقعان أخباراً أو صلات أو صفات

أو أحوالاً في مثل : القلمُ على المكتبِ , رأيت مَنْ في الغرفةِ , التقيت بطالبٍ في الفصلِ , قابلت علياً في المكتبةِ ؛ إذ يقدرون متعلقات محذوفة في هذه الجمل وهي على الترتيب مستقرا , استقرّ , كائن , كائناً , ويقول ابن مضاء إن هذا كله تمحل ؛ لان الكلام قام بدونه , ولا يحتاج إليه وحريّ أن نرفضه ونرفض معه نظرية العامل التي تمدّنا بمثل هذه التقديرات الافتراضية التي لا تمر بذهن المتكلم " [١٤].

إن نقض ابن مضاء لفكرة العوامل المحذوفة سواء أكان في الاستفهام أم في الاشتغال أم في تعليق نسب الجملة حين تقع خبراً أو صلة أو صفة أو حالاً , فهذا من باب الخلاف بين النحاة فمنهم من يقدر المحذوف (استقر) وآخر يقدره (مستقر) وآخر يقدره (كائن) وغيرهم يقدره (موجود) وغيرهم يجعل نسب الجملة هي نفسها الخبر أو غير ذلك . وإلغاء ابن مضاء لفكرة العامل المقدر نهائياً تبعا لمذهبه الظاهري الذي حاول أن يطبقه على النحو . ولم يقل أحد من معاصريه أو ممن تلاه أن ابن مضاء قد صار مدرسة جديدة في النحو العربي , عدا بعض المعاصرين من زعم أن ما جاء به الرجل يعدّ من جهود المدرسة الاندلسية و ثورة على النحو والنحاة[١٥] .

ولو صح إن ابن مضاء أصبح مدرسة نحوية لقال قائل : إن الأخفش الأوسط كان له كثير من الآراء التي خالف فيها أصحابه البصريين , بل كان فيها على طرفي نقيض معهم , فهل يصح أن يكون الأخفش بناء على تلك الآراء صاحب فكر نحوي جديد؟ .إن احد لم يقل بذلك , بل إن آراءه تلك لم تخرجه عن كونه بصرياً؛ لأن ما جاء به الأخفش لا يعدو أن يكون مجرّد آراء خالف فبها أصحابه , وهذه الآراء في أعلى تقديراتها يمكن أن تعد مذهباً في النحو لا غير.

٣- أبو الحسن علي بن محمد المعروف بـ : ابن خروف الاشبيلي (ت ٦٠٩هـ):

كان ابن خروف ذو موقف مؤيد في الأغلب لآراء البصريين , وخالفهم في قليل منها , فهو يعرض المذهبين في بعض المواضع , ثم يقول : وهو الأكثر في كلامهم , أو هو الأفصح الأكثر , أو يقف موقفاً وسطاً بين المذهبين , وأحياناً يعرض أحدهما دون أن يبدي رأيه فيه[١٦] .

ومن ذلك قول ابن خروف :(ومذهب البصريين اشتقاق الفعل من المصدر , يريد:أن الفعل من المصدر , والمصدر اسبق منه , ودليلهم أشياء , منها :أن الفعل لا يكون إلا من الاسم , ومنها أنه يضمر في الفعل , والإضمار فرع , وكذلك دلالته على الزمان والمصدر لا يدل عليه وزيادة المعنى فرع . ومذهب الكوفيين اشتقاق المصدر من الفعل , ولا حجة لهم إلا كونه عاملا فيه .

قالوا: والعامل قبل المعمول , وهذا فاسد؛ لان كل فعل يعمل في اسم غير مصدر ليس بمشتق منه , والاسم أحدثه مع عمله فيه , فإضافة الفعل للفعل عبارة مجازية للتفهيم)[١٧]. فهو يوافق البصريين في أن الفعل مشتق من المصدر. ووافق كذلك رأي البصريين في قوله : (وقولهم : أفعِلْ به , لفظه لفظ الأمر ومعناه التعجب , والجار والمجرور هو الفاعل , ولا ضمير في الفعل , ولو كان فيه ضمير المخاطب لظهر في التثنية والجمع , ومخاطبة المؤنث في قولهم : يا هند أحسِنْ بعَمرْوٍ , دليل على ذلك . وكذلك : يا زيدون أحسنْ بعمرو, والكوفيون يقولون : الجار والمجرور في موضع نصب , والفاعل مضمر في الفعل ولا يظهر , ولا يؤنث الفعل وتقدير الكلام عندهم : ما أفعله , لم يختلفوا في ذلك , ودليلهم على كونه في موضع نصب حذف المجرور في قوله[١٨] :

... ... **وإن *يسيفن*** يومـــاً فأجـــدِرِ ،

و(أسمِعْ بهم وأبصِرْ)[١٩])[٢٠] .

فهذه الآراء وسواها مما لا يتسع المجال لذكرها[٢١] يلاحظ أنه نحا فيها نحو آراء البصريين كما وافق ابن خروف الكوفيين في آرائهم : من ذلك أن (أجمع و جمعاء) يجوز تثنيتها في باب التوكيد قياساً على (أحمر و حمراء) , وقال : (وقياس تثنية أفعل و فعلاء في هذا الباب قياس أحمر و حمراء , ومن منع تثنيتها فقد تكلف وادّعى ما لا دليل عليه , ولم يمنعها أحد من الأئمة فنتبعه , وليس قلة استعمالها بمخرجها عن القياس)[٢٢] والذي ذكره ابن خروف وأجازه منعه البصريون و أجازه الكوفيون و الأخفش [٢٣] .

ومنها أيضاً قوله : (وإن أضفت إلى معرفة أربعة أنواع : أسماء الفاعلين بمعنى الحال والاستقبال , والصفة المشبهة بها , وما في حكمها من الأسماء , نحو: شبهك و مثلك و أخواتهما , والمضاف إلى صفة , نحو مسجد الجامع , وجانب الغربي , و أفعل إلى ما هو بعض له , هذا مذهب طائفة منهم : ابن السراج , والفارسي و ابن بساشاذ , وليس الأمر كذلك , وليس الأمر كذلك , فالإضافة منها قسمان : اسم الفاعل بمعنى الحال والاستقبال , والصفة المشبهة , ومثلك وشبهك و أخواتهما , وأما يوم الخميس وشهر المحرم , و سائر الأيام والشهور فكلها معارف . والذي أوقعهم في تنكير أفعل أن من العرب من يقدّر فيها (مِنْ) إذا أضاف , فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث , وعليه قوله : **ومية أحسنُ الثقلين جيدا وسالفةً وأحسُنهُ قزالا** [٢٤]

وتقديرهم : صلاة الساعة ألأولى , ومسجد الموضع الجامع , وجانب المكان الغربي , فاسد , ولا يطرد لهم في الأيام والشهور , وعرق النسا , وحبل الوريد , وإنما أضيف هذا النوع لاختلاف اللفظين , ومن الإضافة ما فيهن . فاتبعه واعلمْه)[٢٥] .فإضافة الشيء إلى نفسه جائزة لاختلاف اللفظين دون دعوى حذف ولا نقل , و هو يوافق الكوفيين في هذا , والبصريون يمنعون ذلك , وما ورد منه تأولوه , تقديرهم : مسجد الموضع الجامع , وصلاة الساعة ألأولى[٢٦] .

ومن أرائه التي وافق فيها الكوفيين أن حذف حرف النداء مع الأسماء المفردات المقصود تصدرها جائز , نحو : يا رجل , والبصريون يمنعونه , وما جاء منه موقوف عندهم على السماع أو الضرورة [٢٧] . وللوقوف على غيرها من الآراء التي وافق فيها الكوفيين يمكن الرجوع إلى شرحه على الجمل [٢٨]. أما أهم الآراء التي انفرد بها فمنها : في قوله تعالى : ((قتل أصحاب الأخدود , النار ذات الوَقُود))[٢٩] فذهب الفارسي إلى أنها : بدل اشتمال . ويرى الفراء وابن الطراوة أنها : بدل كل من كل . وقال ابن خروف هي : بدل إضراب [٣٠]. وقال في شرحه على الجمل معقباً : (وهو فيه أظهر من بدل الاشتمال) [٣١].ومن أرائه التي انفرد بها رأيه فيما ذكره سيبويه , وهو قولهم : (أول ما أقول : أني أحمد الله فمن فتح (أنَّ) قدّرها بالمصدر , كأنه قال : أولُ ما أقول حمدُ الله , فأول : مبتدأ , وأنّي أحمد الله . في موضع الخبر , وما مصدر به , فإن جعلت(ما) موصولة بمعنى(الذي) , أو نكرة موصوفة , فأجاز ذلك ابن خروف , والصحيح منعه , ومن كسر فمذهب الجمهور أنه خبر عن (أولُ قولي) وتكون الجملة مقولة , وهو المُتَفَهمَّ من كلام سيبويه ...) [٣٢].

وكذلك من أرائه قوله : (وقد ينادي في الشعر الاشتغاثه بغير زيادة , وبغير ياء من حروف النداء : **تمناني ليقتلني لقيطٌ أعام لك بن صعصعة بن سعد** [٣٣]

فاستغاث بـ(عامر) من غير زيادة ورخّمه, ونادى بالهمزة , وحرف الاستغاثة (يا) .) [٣٤].

وأشار أبو حيان الى أن رأي ابن خروف بأن موضع (ما) والفعل في أسلوب الاستثناء بـ(عدا وخلا)النصب على الاستثناء انتصاب (غير) [٣٥].

وبعد هذا العرض الموجز لجهود قسم من علماء الأندلس في النحو يلاحظ انه لا يصل إلى الحد الذي يمثل مدرسة خاصة بهم؛ وذلك لأنه لو كانت لهم مثل هذه المدرسة فهذا يعني أن يكون لها معالم واضحة من حيث الأصول النحوية والمنهج والمصطلح , وكل هذا غير متوافر لدارسي جهود أولئك النحاة ؛ لأن بعضهم كان له الفضل في إدخال كتب الكوفيين أو إدخال قراءة وَرْش المصري ,أو كتاب سيبويه والعناية به وتدارسه هناك بين طلبة العلم وبعد ذلك تدوين المصنفات في النحو واللغة , ولم يخرج أصحاب هذه المصنفات عن متابعة بعضهم لآراء البصريين , في حين تابع آخرون آراء الكوفيين واختار آخرون من هؤلاء , وتفرد بعضهم بآراء لم يسبقوا إليها , واعتنى آخرون بالعلل الثواني والثوالث كما فعل ذلك الأعلم الشنتمري مثلاً . بينما دعا بعضهم كأبن مضاء إلى نسف هذه العلل من جذورها وحذف أبواب من النحو أو إلغاء القياس .

الخاتمة :

عَدَّ عدد من الباحثين النشاط النحوي في الأندلس سواء كان ذلك في مخالطة نحاة الأندلس لجميع النحاة السابقين لهم من كوفيين وبصريين وانتهاجهم منهج الاختيار من آراء الكوفة والبصرة , أم إدخال كتب النحويين أم القراءات كقراءة وَرْش المصري , أم كتاب سيبويه وتدارسه مع طلبة العلم . وجعلوا مثل ذلك مدرسة نحوية بعينها . في حين أن هذه الجهود لم ترق إلى تمثيل مدرسة نحوية بل إنها تعد مقدمة لها . فمخالطة نحاة الأندلس للنحويين الكوفيين والبصريين السابقين لهم في المشرق و الاختيار من آرائهم دون أن يتعصبوا لهذا أو ذاك لا يمكن أن يوصف بأنه يؤلف مدرسة نحوية مستقلة . لأن هذا الاختيار والاصطفاء حدث قديماً ولا يزال ولو قيل أن هذا الاختيار يشكل نحواً جديداً أو مدرسة جديدة فهذا يعني أن النحو العربي سيكون له في كل عصر مدارس لا حصر لها .

وإن طلب الأعلم الشنتمري للعل الثواني والثوالث وعدم اكتفاءه بالعلل الأولى لا يظهر هذا نحواً متميزاً عرفه الأندلسيون دِون غيرهم إذ استفاض في الكلام عن العلل علماء سبقوه كالزجاجي في (الإيضاح في علل النحو) , وأبي البركات في (أسرار الطبيعة) ومثل هذا لا يؤلف نحواً جديداً .

وإن ما جاء به ابن مضاء القرطبي في نقض فكرة العوامل المحذوفة سواء كان ذلك في اسلوب الاستفهام أم الاشتغال فهذا يعد في باب الخلاف النحوي لأن النحاة اختلفوا في تقدير المحذوف . وإن إلغاء ابن مضاء لفكرة العامل المقدر نهائياً فهذا تبعاً لمذهبه الظاهري الذي حاول أن يطبقه على النحو العربي .أما التفرد بالآراء لبعض علماء الأندلس فآراؤهم تلك لا يمكن أن تشكل مدرسة قائمة لأن كثيراً من النحاة كانت لهم آراء معينة قالوا بها , فهذا الأخفش وهو من هو كان كثير المخالفة لأصحابه البصريين ومع ذلك لم يقل أحد من النحاة إن الاخفش قد شكل مدرسة بآرائه تلك بل بقي على شديد مخالفته لأصحابه بصرياً .

وعلى ذلك فالباحث يوافق الدكتور عيّاد الثبيتي في إشارة إلى (المدرسة الاندلسية) أنه قولٌ فيه قدر غير قليل من التسامح في التعبير [٣٦]. وهذا كله يقود الى استبعاد وجود مدرسة نحوية خاصة بالأندلس ولكن جهود علماء النحو في الأندلس يمكن وسمها بالدرس النحوي في الأندلس .

الهوامش :

(١) ينظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين , الزبيدي : ٢٧٨ وإنباه الرواة على أنباه النحاة , القفطي: ١/ ٢٧١ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , السيوطي : ٤٩٠/١ .
(٢) المدارس النحوية , د. شوقي ضيف : ٢٨٨-٢٨٩ .
(٣) تنظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين , الزبيدي : ٢٩٣ , بغية الوعاة , السيوطي : ١٥١/١ .
(٤) المدارس النحوية , د. شوقي ضيف : ٢٨٩ .
(٥) تنظر ترجمته في طبقات النحويين و الغويين , الزبيدي: ٢٨٢ , وإنباه الرواة على أنباه النحاة , القفطي: ٢٠٦/ ٢ , و بغية الوعاة , السيوطي : ١٠٩/٢ .
(٦) ثمة خلاف في لقبه فهو (الأفشين) , أو(الأفشتين), أو (الأقشتين) تنظر ترجمته في أنباه الرواة , القفطي : ٢١٦/٣ , بغية الوعاة , السيوطي : ٤٠١/١ .
(٧) تنظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين , الزبيدي : ٣٢٤ , و بغية الوعاة , السيوطي : ٤٠١/١ .
(٨) المدارس النحوية , د. شوقي ضيف : ٢٨٩ .
(٩) المصدر نفسه : ٢٩٠- ٢٩٢ .
(١٠) المدارس النحوية , د. شوقي ضيف : ٢٩٢-٢٩٣ .
(١١) الرد على النحاة , ابن مضاء القرطبي : ١٦٠ .
(١٢) اسرار العربية لأبي البركات الانباري : ٧٣ .
(١٣) المدارس النحوية , د. شوقي ضيف : ٣٠٥ .
(١٤) تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج جديد , د. شوقي ضيف : ١٨-١٩ .
(١٥) ينظر المصدر نفسه : ١٨ وما بعدها .
(١٦) شرح جمل الزجاجي لابن خروف , مقدمة التحقيق :١٤٠ .
(١٧) المصدر نفسه : ٣٧٢/١ وينظر : الإنصاف : ٥٧/١ .

(١٨) تمامه : فذلك إن يلق المنية يلقها حميداً وإن ... وهو لعروة بن الورد . ديوانه : ٥٢ .
(١٩) مريم : ٨/١٩ .
(٢٠) شرح الجمل٥٨٤/٢. وينظر:الارتشاف : ٢٠٦٦/٤, وقد نقل أبو حيان أيضاً أن الفراء والزجاج والزمخشري وابن خروف ذهبوا إلى أنه أمر حقيقة , و الهمزة للنقل . وشرح التصريح : ٨٨/٢ .
(٢١) ينظر شرح الجمل : ٢٦٠/١ و ٢٦٥ و ٢٧٣ و ٢٨١ و ٣٢١ و ٣٣٦ و ٤٥٢ و ٥١٢ و ٨٥٧/٢ .
(٢٢) المصدر نفسه : ٣٣٨/١ .
(٢٣) المصدر نفسه : حاشية المحققة
(٢٤) البيت لذي الرمة , ديوانه :٤٣٦ .
(٢٥) شرح الجمل : ٦٧٦/٢-٦٧٧ .
(٢٦) المصدر نفسه , مقدمة التحقيق : ١٧٠/١ .
(٢٧) المصدر نفسه : ١٧١/١ . وينظر ٧١٥/٢ .
(٢٨) شرح الجمل :٣٤٦/١ و ٣٨٤/١-٣٨٥ و ٢٦٣/١ و ٣٧٣ و ٤٧٣ .
(٢٩) البروج ٤/٥-٥ .
(٣٠) ينظر الارتشاف : ١٩٦٧/٤ .
(٣١) شرح الجمل ٣٤٣/١ .
(٣٢) الارتشاف : ١٢٥٨/٣ .
(٣٣) البيت لابن شريح الكلابي . ينظر الكتاب : ٢٣٧/٢-٢٣٨ . والارتشاف ٢٢٢٧/٥ .
(٣٤) شرح الجمل : ٧٤٥/٢ .
(٣٥) ينظر الارتشاف : ٢٢٢٧/٥ .
(٣٦) ينظر : شرح الجمل لابن خروف , مقدمة التحقيق : ١٣٩ .
(*) ينظر انباه الرواة : ٤/١
(**) ينظر طبقات فحول الشعراء :١٢/١ و الشعر والسعراء :٧٢٩ و طبقات النحويين واللغويين :١٣

Abstract

This research discusses , what have been done by researchers that the scientist of grammars in Al-Andalus , was considered as school of grammar called (Al-Andalus grammar school) , this is mentioned by Dr. Shawki Dhaif in his book called (grammar schools) , it has been considered entering cibawyh book and reading of warsh almusry to Al-Andalus or wrote down the classified books or dealing with the previous Al-Andalus grammarians in the orient as basryian and Kufian and what they used ad doctrine as the first seed to establish the Al-Andalus school , is that form as school ? for answering about this question found in the content of this research about the Al-Andalus scientists , it preceded by a preface where described the formation of the school grammar which considered as great efforts about these great scientists in the grammar field .